

كشف الشبهات في التوحيد

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

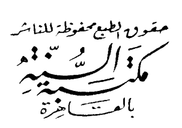
علق حواشيه

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع

مكتبة السنة

الطبعة الثانية

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



رقم الإيداع	٩٤/٣١٢٦
الترقيم الدولي	٥-٦٢-٥١٠٥-٩٧٧



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة ، ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ، ناصية شارع الجمهورية
تليفون ، ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس ، ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس ، ٢١٧١٩ IL THRB UN
ص . ب ، ١٢٨٩ - الرمز البريدي ، ١١٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك اللَّه أن التوحيد هو إفراد اللَّه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم اللَّه به إلى عباده . فأولهم نوح عليه السلام[1] ، أرسله اللَّه إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا ، وآخر الرسل محمد ﷺ ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون اللَّه

(١) أي أول الرسل الذين بعثهم اللَّه لدعاء قومهم إلى توحيد اللَّه ونهيهم عن الإشراك به ، وأما أول الأنبياء مطلقًا فهو آدم عليه السلام .

كثيرًا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين اللَّه ، يقولون نريد منهم التقرب إلى اللَّه[1] ، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث اللَّه محمدًا ﷺ يُجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق اللَّه لا يصلح منه شيء لغير اللَّه ،

(١) أجمع العلماء على أن من جعل بينه وبين اللَّه وأسطة يدعوه زاعمًا أنه يقربه إلى اللَّه أنه كافر خارج عن ملة الإسلام كما ذكره في كشاف القناع على متن الإقناع في باب حكم المرتد ، وهذا هو الذي عليه عباد القبور في هذه الأزمان سواء .

لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلًا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن اللَّه هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يُميت إلا هو، ولا يُدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]. وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩]. وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا[1] ولم يُدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ،

(١) أي توحيد الربوبية.

وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا: الاعتقاد، كما كانوا يدعون اللّٰه سبحانه ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من اللّٰه ليشفعوا له، أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات، أو نبيًّا مثل عيسى، وعرفت أن رسول اللّٰه  قاتلهم على هذا الشرك[1] ودعاهم إلى إخلاص العبادة كما قال

---

(١) الذي هو دعوة غير اللّٰه مع اللّٰه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فدلت الآية الكريمة على أن دعاء الأموات ونداءهم والاستعانة بهم من الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللّٰه إلا بالتوبة منه.

تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، وقال : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد : ١٤] ، وتحققت أن رسول اللّٰه ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله للّٰه ، والنذر كله للّٰه ، والذبح كله للّٰه ، والاستغاثة كلها للّٰه ، وجميع العبادات كلها للّٰه ، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى اللّٰه بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم : عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا اللّٰه ، فإن

الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور[1] سواء كان ملكًا ، أو نبيًا ، أو وليًا ، أو شجرة ، أو قبرًا ، أو جنيًا ، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد[2] . فأتاهم النبي ﷺ

(١) أي طلب الشفاعة منهم والتوجه إلى الله بدعائهم من دون الله ومع الله .

(٢) مراده بالسيد ما يعتقده الجهال في بعض الأشخاص الدجالين والمشعوذين الذين يلبسون على العوام بأنهم أهل كرامات وتصرف في الأمور وأنه ينبغي الالتجاء إليهم ودعاؤهم والتوسل بهم إلى الله ، فالعامة يسمون هذا الدجال سيدًا ، وهذا معروف معلوم ، وهذا مراد الشيخ رحمه الله .

يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي (لا إله إلا الله)، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها. الكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به[1]، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن

---

(١) أي تعلق القلب به سبحانه فلا يرجى أحد سواه ولا يدعى غيره ولا تطلب الحوائج إلا منه ولا يستعان إلا به.

أن ذلك[1] هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله[2] ؛ فلا خير في رجل جُهّالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا اللّه !

إذا عرفتَ ما ذكرتُ لك معرفة القلب ،

---

(١) أي يظن تفسيرها والمراد منها هو مجرد النطق بها ، وهذا ظن فاسد ، بل المراد منها إفراد اللّه بالتعلق - إلى آخر ما بينه المصنف ، رحمه اللّه ، من مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة .

(٢) وأقول : ما أكثر هذا الصنف - لا كثرهم الله- ظنوا أن معنى هذه الكلمة والمراد منها هو توحيد الربوبية ، فلهذا جهلوا توحيد العبادة وصرفوه لغير اللّه فطلبوه من الأموات والغائبين وسألوهم ما لا يقدر عليه إلا اللّه ، وهذا هو الشرك الأكبر ؛ وإن سموه « توسلًا » - تدليسًا وتلبيسًا .

وعرفتَ الشرك بالله الذي قال اللَّه فيه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء : ٤٨، ١١٦] ، وعرفت دين اللَّه الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل اللَّه من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا :

أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل اللَّه ورحمته ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : ٥٨] .

وأفادك أيضًا الخوف العظيم[1] ؛ فإنك إذا

(١) وهو الفائدة الثانية .

عرفت أن الإنسان يكفر بكلمةٍ يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى اللَّه تعالى كما ظن المشركون ، خصوصًا إن ألهمك اللَّه ما قصّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم ، أنهم أتوه قائلين : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف : ١٣٨]، فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا[1] وأمثاله .

(١) أي من الكفر وأسبابه فإن هؤلاء العلماء الصلحاء طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا يدعونه مع اللَّه ومن دون اللَّه ، وهذه حال عباد القبور في هذه العصور ، تقربوا إلى اللَّه بدعوة الأموات والذبح لهم والاستغاثة بهم ، وهذا كفر يطردهم من رحمة اللَّه .

واعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج: فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين

قال إمامهم ومقدمهم لربك عزَّ وجلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، والعامي من الموحدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان[1]. كما هم الغالبون

(١) والمراد بجند الله هنا الذين أدوا ما أوجب الله عليهم وعملوا بما وهبهم من العلم النافع والعمل الصالح وأصغوا إلى =

بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من اللّه تعالى علينا بكتابه الذي جعله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، قال بعض المفسرين:

= حجج اللّه وبيناته وأقبلوا على تعلم ذلك بصدق عزيمة وإخلاص نية ودعوا الناس إلى ذلك، فإن نشر العلم النافع والدعوة إليه من الواجبات ولو لم يطلب ذلك من الإنسان كما ذكره المصنف في أول الثلاثة الأصول.

هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء[1] .

مما ذكر اللَّه في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا ، فنقول :

جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ، ومفصل .

أما المجمل : فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ

(١) أراد – رحمه اللَّه – أن يبين أشياء من حال أعداء اللَّه ورسله القاعدين بالطريق الموصلة إلى معرفة دين اللَّه ليصدوا الناس عنه .

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران : ٧] ، وقد صح[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ » ، مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] ، وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام

(١) في الصحيحين من حديث عائشة .

الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إن اللّه ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن اللّه ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفَّرهم بتعلقهم على - الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس : ١٨] ، هذا أمر محكم بيّنٌ لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام اللّه لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام اللّه .

وهذا جواب سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه اللّه ، فلا تستهون به ، فإنه كما قال تعالى :

﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

وأما الجواب المفصل: فإن أعداء اللّٰه لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس عنه منها قولهم: نحن لا نشرك باللّٰه، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا اللّٰه وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن «عبد القادر» أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند اللّٰه، وأطلب من اللّٰه بهم[1]: فجاوبه بما تقدم، وهو أن

(١) أي بواسطتهم بأن يجعلهم وسائط بينه وبين اللّٰه القريب =

الذين قاتلهم رسول اللّٰه ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر اللّٰه في كتابه[1] ووضحه ، فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين أصنامًا ؟ فجاوبه بما تقدم ، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها للّٰه وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله

= المجيب ، وهذا الذي عليه عباد الأموات ، وهو كفر بإجماع العلماء .

(١) أي من الآيات الدالة على كفر من دعا غير اللّٰه من الأموات والأحجار والأشجار وتقرب إليهم بالذبائح والنذر .

بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥،

٧٦] ، واذكر قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ : ٤٠، ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة : ١١٦] ، فقل له : عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام ، وكفر أيضًا من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ ، فإن قال :

الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن اللّه هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من اللّه شفاعتهم ، فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، فاقرأ عليه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] ، وقوله تعالى : ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] .

واعلم أن هذا الشبه الثلاث[1] هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفتَ أن اللّه وضعها في كتابه ،

(١) الأولى قولهم : نحن لا نشرك بالله ، والثانية قولهم : الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، والثالثة قولهم : الكفار =

وفهمتَها فهمًا جيدًا : فما بعدها أيسرُ منها . فإن قال : أنا لا أعبدُ إلا اللَّه وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة ؟ فقل له : أنت تُقرُّ أن اللَّه فرض عليك إخلاصَ العبادة وهو حقُّه عليك ؟ فإذا قال: نعم ، فقل له : بيِّنْ لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة للَّه وحده وهو حقه عليك -فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها[(١)]

فبينها له بقولك : قال تعالى : ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ

= يريدون منهم ... إلخ .

(١) لأنه يزعم أن الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة وهذا عين الجهل بالعبادة ، وهو الذي عليه عباد الأموات ؛ سموا هذه العبادة توسلًا وصرفوها لغير اللَّه .

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل عَمِلْتَ هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلًا ونهارًا؛ خوفًا وطمعًا، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره: هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا عَمِلْتَ بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وأطعتَ الله ونحرتَ له: هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: إذا نحرت لمخلوق؛ نبي أو جني أو غيرهما: هل أشركتَ في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يُقِرَّ، ويقول: نعم.

وقل له أيضًا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد اللَّه وتحت قهره ، وأن اللَّه هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دَعَوْهم ، والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جدًّا .

فإن قال : أتنكر شفاعة رسول اللَّه ﷺ وتَبَرَّأُ منها ؟ ! فقل : لا أنكرها ولا أتبرأُ منها ، بل هو ﷺ الشافع والمشفع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها للَّه كما قال تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ

﴿ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر : ٤٤] ، ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ولا يشفع في أحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله فيه - كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وهو لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحدٍ حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد : تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول :

اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله، فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وأيضًا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط[1] يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم؟! فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة

(١) في اللسان: «وفي الحديث: أنا والنبيون فُرَّاطُ القاصفين جمع فارط، أي متقدمون إلى الشفاعة». اهـ. [الناشر].

الصالحين التي ذكر اللَّه في كتابه، وإن قلت: لا: بطل قولك - «أعطاه اللَّه الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللَّه» -.

فإن قال: أنا لا أشركُ بالله شيئًا - حاشَ وكَلَّا - ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقرُّ أن اللَّه حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن اللَّه لا يغفره: فما هذا الأمر الذي حرمه اللَّه وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري، فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، أم كيف يحرم اللَّه عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن اللَّه يحرمه ولا يبينه لنا؟!



فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل : وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ، فهذا يكذبه القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس : ٣١] ، وإن قال هو من قصد خشبة أو حجرًا أو بُنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ، ويدفع الله عنا ببركته ، أو يعطينا ببركته ، فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها فهذا أقرّ أن فعلَهم هذا هو عبادة الأصنام .

ويُقال له أيضًا : قولك : « الشِّرْكُ عبادة الأصنام » : هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا ؟ فهذا يرده ما ذكر اللَّه في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين ، فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة اللَّه أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن ، وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال : أنا لا أشرك باللَّه ، فقل : وما الشرك باللَّه ؟ فسره لي ؟ فإن قال : هو عبادة الأصنام ، فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لي[1] ؟ فإن قال : أنا لا أعبد إلا اللَّه

(١) معنى عبادة الأصنام اتخاذها وسائط بأن يتقرب إليها =

وحده ، فقل : ما معنى عبادة اللّٰه وحده ؟ فسرها لي ؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب[1] وغيرها من الآيات الدالة على ذلك ، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئًا وهو لا يعرفه ، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان أنه الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة اللّٰه وحده لا شريك

= عابدها بما يزعم أنه يقربه إلى اللّٰه كالذبح لها والنذر ودعائها كما يفعله المشركون عباد الأموات .

(١) وقد بين اللّٰه سبحانه وتعالى العبادة التي أمر بها عباده في كتابه ، فقال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية [البينة : ٥] .

له هي التي ينكرون علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص : ٥] .

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه[1] المشركون

---

(١) وقد سبق قول الشيخ - رحمه الله - وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، ومراده - رحمه الله - أن المشركين تقربوا إلى الله بدعاء الأصنام والأوثان والملائكة والصالحين ، وصرفوا لهم أنواع العبادة من الذبح والنذر والاستغاثة ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، معتقدين أن ذلك قربة إلى الله ينالون به الزلفى لديه ، ولكنهم بهذا العمل صرفوا توحيد العبادة لغير الله ، فبذلك صاروا مشركين ، وسموا شركهم اعتقادًا بالأولياء والصالحين ، وما هو إلا الشرك الأكبر المنابذ لدين الله تعالى ! .

في زماننا هذا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول اللَّه ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع اللَّه إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون للَّه الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ - إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها اللّٰه في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول اللّٰه ﷺ يدعون اللّٰه تعالى ويدعون غيره في الرخاء،

وأما في الضرّ والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون سادتهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدًا راسخًا ؟ والله المستعان[1] .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسًا

---

(١) وأقول : إن من نِعم الله على عباده أن التوحيد الصحيح المبني على الكتاب والسنة قد انتشر في هذا الزمن ، وكثر أتباعه والدعاة إليه ، وذلك رحمة من الله لعباده ، ثم بسبب انتشار كتبه ؛ كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ الإسلام المصنف وأولاده وتلاميذه ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

مقربين عند اللّه ، إما أنبياء ، وإما أولياء ، وإما ملائكة . أو يدعون أشجارًا ، أو أحجارًا مطيعة للّه ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع اللّه أناسًا من أفسق الناس ! والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك[1] ، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر : أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ

(١) بل آل الأمر إلى أنهم يحكون هذه القبائح ويعدونها من الكرامات ؛ كما يفعله الشعراني في كتبه .

أصح عقولًا وأخف شركًا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب : أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول اللَّه ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك

إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ؛ كمن أقر بالتوحيد ، وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

ولما لم يَنْقَدْ أناس في زمن النبي ﷺ للحج ، أنزل الله في حقهم : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران : ٩٧] . ومن أقر بهذا كله وجحد البعث : كفر بالإجماع ، وحل دمه وماله كما قال جل جلاله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فإذا كان اللَّه قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا: زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا(١).

ويقال أيضًا: إذا كنت تقرّ أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو

(١) كانت الأحساء في زمن الشيخ آهلة بالعلماء من سائر المذاهب، فعاند بعضهم، وهدى اللَّه بعضًا فاتبع الحق والهدى بتوفيق اللَّه.

كافر حلال الدم والمال بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث[1] ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان و[صدق] بذلك كله ؛ لا يُجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا ، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر !! ! سبحان الله ! ما أعجب هذا الجهل[2] .

---

(١) أي فهو كافر حلال الدم والمال .

(٢) أقول : إذا ظهر السبب بطل العجب ! فالمشركون عباد =

ويقال أيضًا : هؤلاء أصحاب رسول اللّه ﷺ ، قاتلوا بني حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن محمد رسول اللّه ، ويصلون ويؤذنون ، فإن قال : إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي ، قلنا : هذا هو المطلوب ! إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر

= الأموات اعتقدوا أن صرف مخ العبادة لغير اللّه ليس بشرك ! وإنما الشرك هو السجود للأصنام ، وأما الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة بغير اللّه فهو مما يقربهم إلى اللّه ، وقد صرحوا بذلك في كتبهم ، ومع ذلك فقد سجدوا لغير اللّه ، يعرف ذلك من درس أحوالهم وشاهد كفرهم عند ضرائح أوثانهم .

وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف ، أو صحابيًا أو نبيًا ، في مرتبة جبار السماوات والأرض ؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٥٩] .

ويقال أيضًا : الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ، كلهم يدَّعون الإسلام ، وهم من أصحاب علي ، وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد

في علي بن أبي طالب كفر؟!

ويقال أيضًا: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس: كلهم يشهدون أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك، وتكذيب الرسول والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى

الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب « باب حكم المرتد » وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه - ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب !

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه

ويزكون ويحجون ويوحدون ، وكذلك الذين قال فيهم : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة : ٦٥، ٦٦]، فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح . فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم : تكفرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق[1] .

(١) وذلك أن شبهتهم من أقوى الشبه تلبيسًا ، وأشدها تدليسًا ، فإن من شهد أن لا إله إلا الله وصلى وصام عظم إطلاق =

ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقول ناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط؛ فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ .

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: فإن بني إسرائيل لم

= الكفر عليه عند الجاهل، ولم يعلم أنه هدم هذه الأعمال بشركه ودعوته غير الله، فلم تنفعه عبادته لأن من لم يأت بالتوحيد الخالص لم يعبد الله، فلهذا صار هذا الجواب من أنفع الأجوبة.

يكفروا ، وكذلك الذين قالوا : اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا ، فالجواب أن تقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ، ولو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل : « التوحيد فهمناه » ! أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضًا

أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر ؛ كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضًا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا – كما فعل رسول الله ﷺ .

وللمشركين شبهة أخرى ، يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : لا إله إلا الله ، وقال له : « أَقَتَلْتَه بَعْدَمَا قال لا إله إلا الله » ، وكذلك قوله : « أُمِرتُ أن أُقَاتِلَ الناسَ حتى يَقُولُوا: لَا إلهَ إلا الله » . وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل ، فيقال لهؤلاء الجهلة : معلوم

أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة يقولون : إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ؟! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل اللّه تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] أي تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن

يتبين منه ما يناقض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال : « أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه ؟ » ، وقال : « أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتَّى يقُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه » - : هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » ، مع كونهم من أكثر الناس عبادة ، وتهليلًا وتسبيحًا ، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وتعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلام ؛ لما ظهر منهم مخالفة الشريعة .

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو

بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات : ٦] ، وكان الرجل كاذبًا عليهم .

وكل هذا يدلُّ على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهي ما ذكر النبي ﷺ : أنّ الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذر ، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ ؛ قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا .

والجواب أن نقول : سبحان من طبع على

قلوب أعدائه ! فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ؛ كما قال تعالى في قصة موسى : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا اللّه ، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا اللّه أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حيّ

يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع اللّه لي ، كما كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يسألونه ذلك في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء اللّه عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه ؟

ولهم شبهة أخرى : وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا . فقالوا : فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال اللّه تعالى فيه : ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾

[النجم : ٥]، فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره اللَّه أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلًا محتاجًا فيعرض عليه أن يقرضه ويهبه شيئًا يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه اللَّه برزق لا مِنَّة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك- لو كانوا يفقهون[١]؟!

(١) الأموات لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا استغاثة من استغاث بهم وذلك بنص القرآن، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فعبـاد =

ولنختم الكلام إن شاء اللّٰه تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدًّا تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول[1] :

لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس ؛ يقولون : إن هذا

= الأموات لا يزالون وهم في ضلال ما داموا يدعونهم لمخالفتهم نص القرآن .

(١) هذه المسألة يترجم لها في كتب التوحيد بمسألة الإيمان وأنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .

حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار - كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦، والأنعام: ٢٠]، فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه: فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب اللَّه: أولهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فإذا تحققت أن بعض الذين غزوا الروم مع رسول اللَّه ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ

﴿بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنًّا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفًا، أو مداراة، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المكره.

والآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾،

فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانيـــة : قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فصرح أن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(تمت والحمد لله رب العالمين) .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

التوحيد هو إفراد اللّٰه بالعبادة ٣
المشركون مقرّون بتوحيد الربوبية جاحدون لتوحيد العبادة ٥
الدعاء كله للّٰه ، والنذر كله للّٰه ، والذبح كله للّٰه ، والاستغاثة كلها باللّٰه ، وجميع العبادات كلها لله ٨
فائدتان لمعرفة دين اللّٰه الذي أرسل به الرسل ١٢
الواجب عليك أن تتعلم من دين اللّٰه ما يصير لك سلاحًا تقاتل به الأعداء والشياطين ١٤
الجواب المجمل عما احتج به المشركون ١٧
الجواب المفصّل لاعتراضات أعداء الله ٢٠
الشبهات الثلاث بيانها وكشفها ٢٠
شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين ٣٥

أحدهما : أن الأولين لا يشركون إلا في الرخاء ،
وأما في الشدة فيخلصون للَّه الدين ٣٥
الثاني : أن الأولين يدعون مع اللَّه أناسًا مقربين
عند اللَّه . . . وأحجارًا مطيعة ٣٧
شبهة أخرى من أعظم شبههم ٣٩
التوحيد أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ٤٢
جواب من أنفع الأجوبة عن شبهتهم ٤٧
الجواب عن شبهتهم فيما حكاه اللَّه عن بني إسرائيل .. ٤٩
الجواب عن قولهم : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة
ابن زيد قتل من قال : لا إله إلا الله ٥٠
شبهة أخرى : أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ٥٤
شبهة أخرى في قصة إبراهيم لما أُلقي في النار ٥٦
مسألة عظيمة : أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب
واللسان والعمل ٥٨
خاتمة الرسالة ٦٢
الفهرس ٦٣